ذاكرة العرب

مجلة ربع سنوية - العدد الأول - يناير ٢٠١٩

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الفهرس

تقديم	٣
نخل العراق	٤
النقود العربية في العصر العباسي	١٦
سيدة الغناء العربي أم كلثوم في أبوظبي	٣٦
أغنية صنعاء	٥٠
ملف خاص	
– زينة الخيول الأشورية وسروجها	٥٢
– ركوب الخيل في العصر العباسي الأول	٦٠
– مضمار وسباق الخيول في سامراء	٦٤
– أدب الفروسية في العصر المملوكي	٧٤
– إسطبلات أمراء المماليك بالقاهرة والعناية بالخيل	٩٨
– الأفراس المؤسسة للمرابط المصرية	١٠٨
– العقيلات ووجودهم في مضامير الفروسية في مصر	١٢٤
– نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد	١٣٦
الحكاية الفلسطينية	١٤٠
تطوان: المدينة الأندلسية في شمال المغرب بين الحاضر والماضي	١٤٢
سليل البوعبديل	١٤٨
البريد والطوابع في لبنان	١٥٦
ذاكرة العرب	١٦٤

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

SPecial Projects
إدارة المشروعات الخاصة

المشرف العام
مُصْطَفى الفِقي
مدير مكتبة الإسكندرية

رئيس التحرير
خَالِد عَزَب

سكرتير التحرير
سُوزَان عَابِد

المراجعة والتصحيح اللغوي
فاطِمَة نَبيه
مُحَمَّد حَسَن

التصميم الجرافيكي والخطوط
الحَسَن عِصَام
خَالِد مُصْطَفى

الإسكندرية، يناير ٢٠١٩

إسطبلات أمراء المماليك بالقاهرة والعناية بالخيل

بقلم: الدكتورة شيرين القباني

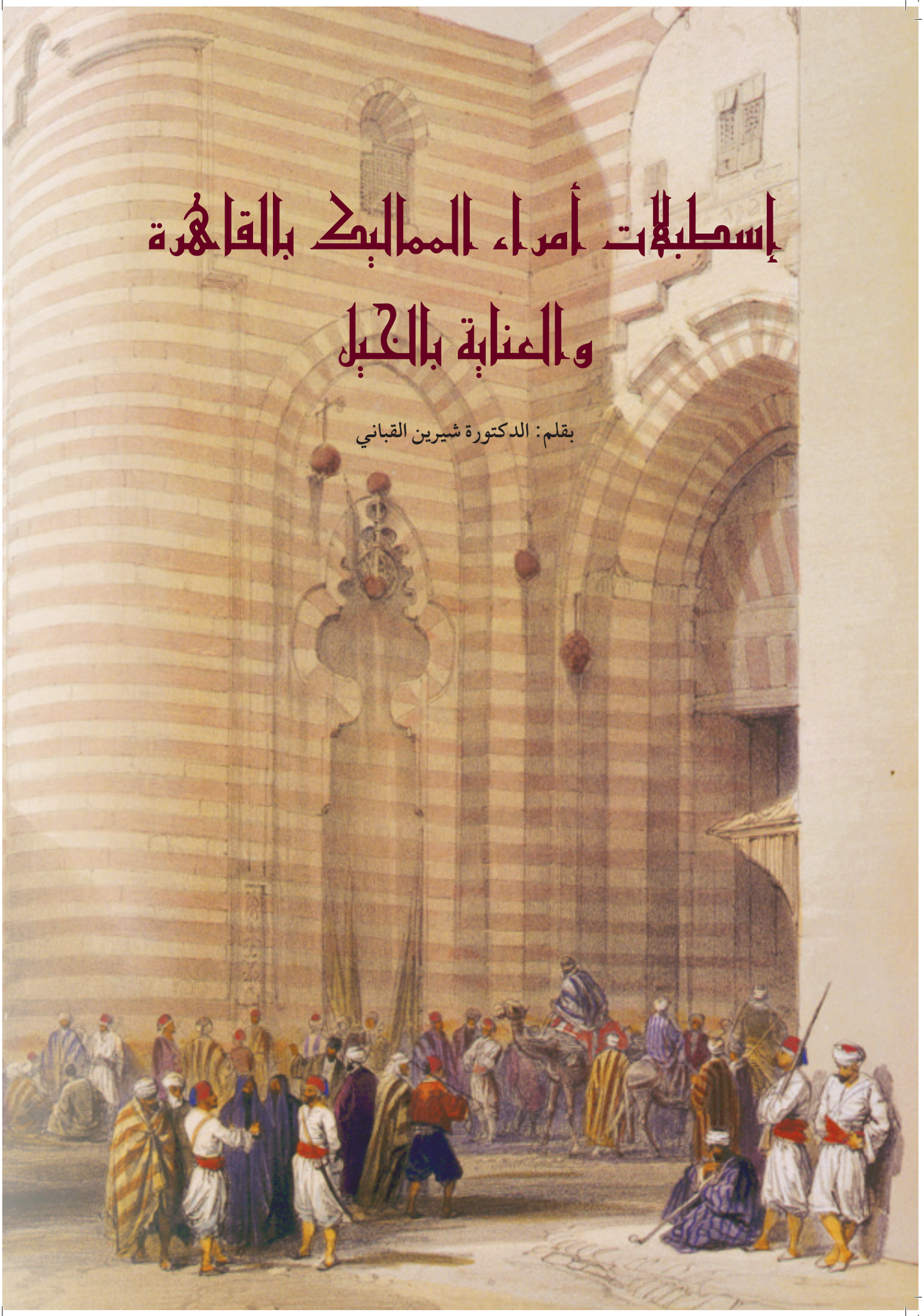

أولى المماليك عناية كبيرة بالخيل وبيطرتها، خاصة أن دولتهم قامت على أكتاف تلك الخيول. فقد اعتمدت تلك الدولة الفتيَّة القوية اعتمادًا يكاد يكون تامًّا على سلاح الفرسان بخيوله القوية. لذا فاجتهد السلاطين والأمراء في الإكثار من الخيول ليتمكنوا من التصدي للأخطار المُحدِقة بهم. لذا فقد بعثوا في طلبها من مختلف الأماكن، من مناطق مصر المختلفة، وبرقة، واليمن، والحجاز، والشام، والعراق، والبحرين.

وقد انعكس ذلك على العناية التي أولاها المماليك بالخيل؛ فكانت تقوم على الخيل في الإسطبلات المختلفة خدمة من السياس يعنون أيَّما عناية بنظافة الخيل من الأوساخ والشعر وكل روث وبول. كما كان يراعى أن يفرش تحت الإناء المخصص للشرب، الرمل الأبيض والذبل بعد جفافه تحت الشمس، ثم اهتموا بمسح أجساد الخيل بعد طلوع الشمس، ثم وقت الظهر مرة ثانية. واهتموا بتمشيط جسد الفرس بالماء، ومسح نواصيها وعيونها. أما شُرْب الفرس للماء، فيكون في أول النهار بعد طلوع الشمس شَربة، وعند الظهر شَربة، وبعد العصر شَربة، وشَربة بعد العشاء بساعة وتسمى سقي الغفلة، وهي جيدة وواجبة. وفي البلاد الحارة خاصة، فإنه لا بد من شَربة بالليل أيضًا.

ومن العناية بالخيل ورعايتها كذلك، أن يحذر كل الحذر من أن يُسقى الفرس أو يُعلف إثر التعب والإعياء، بل يُمهل حتى يسكن ويجف عرقه، ويهدأ هدوءًا تامًّا، وكذلك يُحذر من علف الشعير الكثير مع طول الراحة وقلة الحركة. وكذلك الحذر من أن يعطيه الرَّطْب من الحشيش مع اليابس، وليتحفظ من ذلك ما استطاع. ويجب أن يُسقى الفرس في زمان الربيع طبيخ الحلبة، فإن ذلك يسهله ويدفع عنه أمراض الرِّجْلين والحلق. وكان هناك حرص شديد في تدريب الخيل ورياضتها على ألا تُضرب حتى لا تَحرُن في خبث وتعتاد الضرب، وتخرج إلى التكبر والحِران وتصر عليه. فإن حَرَن الفرس فلا يُركب ولا يُؤمَن إليه.

الإسطبلات

كان مجتمع المماليك مجتمعًا عسكريًّا يتميز بفرسانه، لذا فقد احتلت الخيل، ومن ثَمَّ الإسطبلات، مكانة وأهمية خاصة. فلم يكن استخدام الخيل في دولة المماليك قاصرًا على الحروب فقط، إذ استُخدمت الخيول في البريد وفي الاحتفالات المتعددة وفي الألعاب الرياضية والصيد. وشُيدت الإسطبلات السلطانية للخيول وغيرها بجوار سوق الخيول. ولم يكن تشييد الإسطبلات قاصرًا على سلاطين المماليك، بل حرص الأمراء أيضًا على إلحاق الإسطبلات بدُورهم وقصورهم. فإسطبل قوصون، كان أصله إسطبل الأمير سنجر البشمقدار وسنقر الطويل، وكان يقع تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة، وكان له بابان؛ أحدهما يُتوصل منه إلى الإسطبل السلطاني وقلعة الجبل، وقد أنشأه الأمير علم الدين سنجر؛ أحد مقدمي الألوف أمراء المئين، ثم أخذه منه الأمير سيف الدين قوصون، وكان ملحقًا به ركاب خاناه حيث تُحفظ اللُّجُم والسروج، وطوالة (أي الحجرة التي يوضع بها الخيل) وغير ذلك من أدوات ربط الدواب، ومتبن وبئر للمياه، وحفرة مرحاض مسقف؛ نقيًّا من الخشب المستورد أو غشيمًا من الخشب البلدي أو جذوع النخل، بالإضافة لحجرة صغيرة لسكن الكلَّاف، وهو الشخص المشرف على الدواب، وحواصل. كما اشترى الأمير حسام الدين لاجين الأيدمري المعروف بالدرفيل؛ دوادار الملك الظاهر بيبرس، والمتوفى سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م، بعضًا من قصر النافعي وعمَّره إسطبلًا ودارًا.

أما وقفية قانيباي الرماح؛ أمير آخور كبير، فتشير إلى أنه قد شيد بظاهر القاهرة خارج باب زويلة بدرب يُعرف بأرغون شاه، بيتًا كبيرًا ملحقًا به إسطبل «مقام ثلاثة عشر رأس خيل». وأعطتنا وثيقة الأشرف طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م)، وكذلك وثيقة الأمير خاير بك، وصفًا مفصلًا لقصر الأمير قرقماس؛ أمير سلاح، وكان هذا القصر يقع بخط التبانة أمام مدرسة خوند بركة. فتذكر الوثيقتان أن القصر كان من ضمن ما يشتمل عليه دركاه كبرى وبوابة وطبل خاناه، وحاصل، وركاب خاناه، وبئر وساقية، وحمام، ودور قاعة كبرى، وقاعة جلوس، ومقعد، ومبيتان، وطباق برسم المماليك، ومطبخ، وثلاث بوائك للخيل، ومرافق ومنافع. أما بوائك الخيل، فبأولها مقام خمسة عشر رأسًا من الخيل، والبائكة الثانية مقام ثمانية أرؤس، أما الإسطبل فكان به مقام سبعة أرؤس من الخيل. كما تشير الوثيقة أيضًا لوجود مغسل للخيل. وقد سكن هذه الدار من الأمراء المماليك أميرٌ يُعرف بالأمير نامق، ثم الأمير إينال الأشقر الظاهري جقمق. أما في العصر العثماني، فقد سكنه الأمير حسين بيك، ثم الأمير إبراهيم أغا؛ ابن المرحوم الجناب العالي الأمير عبد الله؛ عين أعيان أمراء المتفرقة بمصر المحروسة، وأغاة طايفة مستحفظان قلعة مصر.

كذلك تصف لنا وثيقة أزدمر من علي باي سكنه، وتذكر أنه كان يحتوي على إسطبل كبير به بوائك، ويعلو بعضه أربع طباق برسم المماليك. أما وثيقة السيفي أزبك من ططخ فإنها تصف لنا عمائر الأمير المذكور من قصور، وما بها من أروقة وإيوانات ومقاعد وإسطبلات، وتشير إلى أن قصره كان يتضمن إسطبلًا به طوالة مقام تسعة أرؤس خيلًا كامل المجاديل، وكان بهذا الإسطبل مغسل للخيل كامل المجاديل، وكذلك ركاب خاناه وحوض.

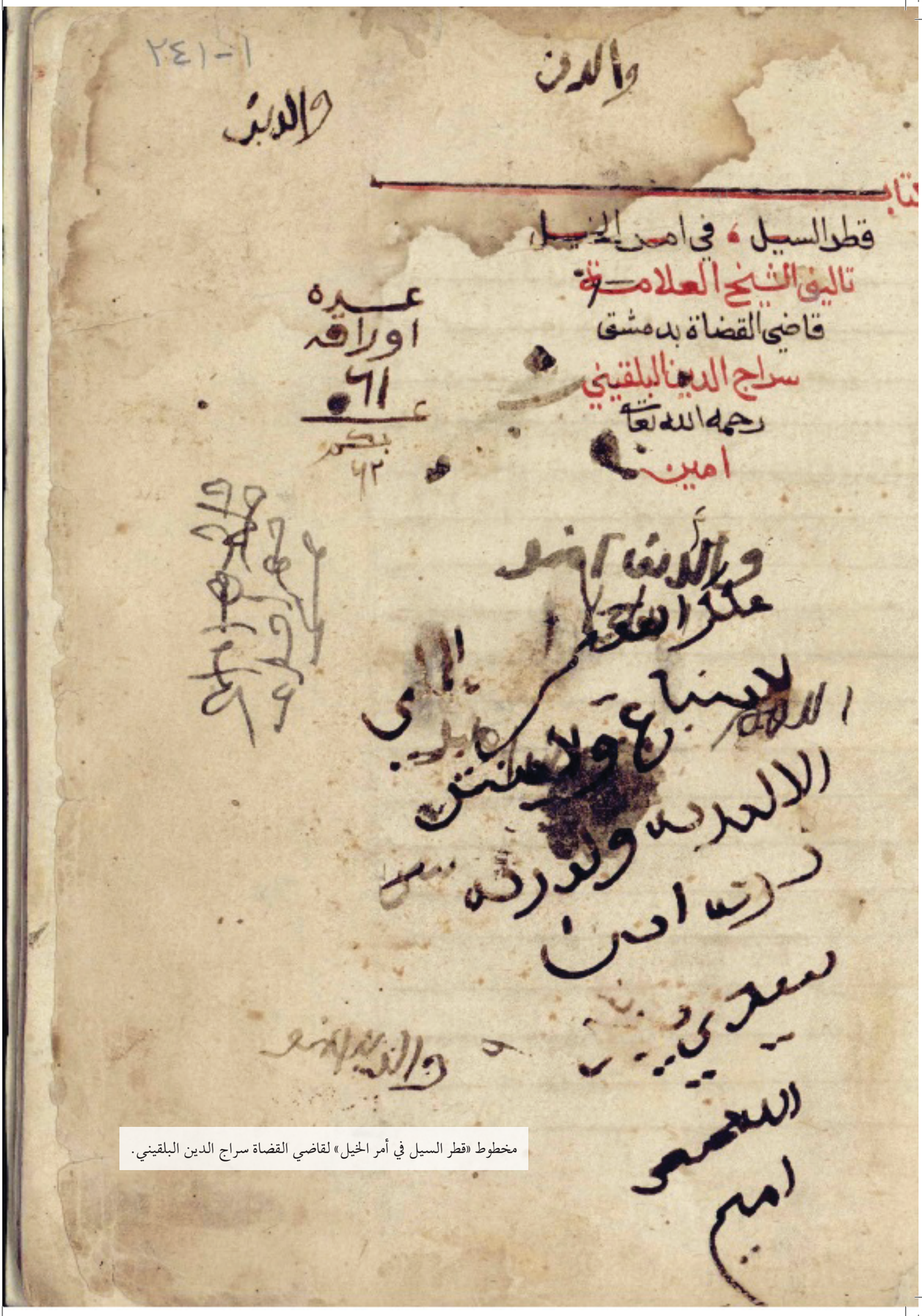

مخطوط «قطر السيل في أمر الخيل» لقاضي القضاة سراج الدين البلقيني.

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر

الحمد لله الذي عرفنا بفضله طريق السلامه ، واظهر
منا من منهاج الهدى فاعلاه واوضح امامه ، وبعث
محمدا افضل الخلق اليهم فكان في محراب التقديم
امامه ، وجعل امته خير الامم وآخرهم وهو للساعة
علامه ، وخصه بعموم وخصوص لا تحصى وأتم
لامته النعمة واذهب عنهم الندامه ، ورفع لشرعه
الوية الدوام ونصب اعلامه ، وخفض اعداه باشاة
الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامه ،
صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه ومن تبعهم
ودخل دار الكرامه اما بعد فهذا تصنيف
لطيف في الخيل ، شمرت فيه للاختصار الذيل ، لخصته
من مصنف الشيخ شرف الدين الدمياطي ، واضفت
اليه اشياء باختيار وترتيبه بحيث يسهل منه التعاطي ،
اقتصرت فيه على فصول سبعه ، والمرجو من الله
ان يمنحنا بالعلم درجات ورفعه الاول
في الامر بارتباطها وما يستحب من الوانها وذكر صفاتها
وما يكره من شياتها وما جا من اسمايها الثاني
في فضل ما اتخذ منها للجهاد في سبيل الله عز وجل
وما جا في مسح نواصيها واكفالها وبركتها والنفقة عليها
وخدمتها وكراهة تقليدها الاوتار وذكر السبب في

ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ابتدا

المقالة الأولى

من كتاب كامل الصناعتين البيطرة والزردقة المعروف بالناصري تاليف ابو بكر البدري البيطار بخزانة الملك الجليل السلطان الأعظم الملك الناصر رحمه الله تعالى امين

تحتوي على عشرين بابًا

الباب الأول في فضائل الجهاد والمجاهدين وفضائل الخيل

الباب الثاني في أنساب الخيل وسماذا خلقوا

الباب الثالث فيما تشارك فيه الفرس الأنسان من الأعضاء والقوى والاعلال

الباب الرابع فيما تخالف فيه الفرس الأنسان النطق والمزاج

الباب الخامس في معرفة نتاج الخيل واوانه وزمانه

الباب السادس في مقدار اعمار الخيول من اول نتاجها الى مبلغ اعمارهم

الباب السابع في معرفة ما في الفرس من العروق التي تفصد منها وصفة منشاها من الكبد

الباب الثامن في معرفة ما في الفرس من العظام والاضراس والأسنان والأضلاع

الباب التاسع في معرفة ما في الفرس من المفاصل واعدادها

الباب العاشر في معرفة اخلاق الدواب وعاداتها

الباب الحادي عشر في صفة معرفة الفرس السابق وصفته

الباب الثاني عشر في صفة ركوب المهارة وتاديبها

الباب الثالث عشر في اضمار الخيول وتنقيلها ومقدار المدا وزنة السواق لها

الباب الرابع عشر فيما يستحب من أعضا الفرس من طول وقصر ورقة وغلظ

الباب الخامس عشر في صفة اعلاف الدواب وريها واختلافه بكل ارض من الأراضين

الباب السادس عشر في كسوة الخيل من اللجم والمقاود واللوازين والسروج والعبي والدليات والبراقع
الباب السابع عشر في جميع الشيات والغرز
الباب الثامن عشر في جميع الأوضاح والتحاجيل
الباب التاسع عشر في صفة خلع الرهاوير
الباب العشرون في صفة الداغات واختلافها

مخطوط «كامل الصناعتين في البيطرة والزردقة» المعروف بالناصري – صفحة العنوان.

الباب الأول

في فضل الجهاد والمجاهدين وفضائل الخيل قال الله تعالى في كتابه العزيز يا أيها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وقال تعالى لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون وقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقيل ان القوة هي الرمي واما رباط الخيل معروف واما الأخبار فعن ابي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الأعمال فقال ايمان بالله وجهاد في سبيل الله وحج مبرور وعن عبد الرحمن بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل الذين يغزون من امتي يأخذون الجعل كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ اجرها وعن محرز قال غزونا ارض الروم فمر صاحب فرس الى صومعة راهب فناداه الراهب

ابتدؤه يوم الخميس ٩ ذي القعدة ١٤١٥

من كتاب كامل الصناعتين البيطرة والزردقة المعروف بالناصري
تأليف ابو بكر البدر البيطار بخزانة الملك الجليل السلطان الاعظم
الملك الناصر رحمة الله تعالى
عليه
امين

في حين تذكر وثيقة الأمير أيتمش البجاسي وصفًا لمجموعة من الإسطبلات التي كان قد شيدها، مثل إسطبل بخط سويقة المتسبب الهلالية، وكان يشتمل على باب مربع يُغلق على فردة باب، والواجهة لهذا الباب مشيدة بالحجر المكسور، ويُدخل منه إلى ساحة كشف بعضها مسقف غشيمًا ومحمول على عمد كدان، وبهذه الساحة معالم وقصبة قناة، ومنافع ومرافق وحقوق، كما يشتمل الإسطبل على ركاب خاناه معلقة، أي أسفلها بناء كالمخازن أو مرفوعة على أعمدة، وكان بغير سقف. وكان الحد القبلي لهذا الإسطبل ينتهي إلى إسطبل طوغاي الجاشنكير. وتذكر الوثيقة أيضًا إسطبلًا آخر كان ملحقًا ببيته بدرب القزازين، والذي يشتمل على واجهة مبنية من الحجر وذات باب مربع، ويُغلق عليه زوجا باب. والإسطبل يتكون من طوالة وركاب خاناه، ومتبن ومرحاض، ويتقدم الإسطبل دهليزًا بصدره مصطبة، وعلى يسار الداخل باب به سلم يصعد منه إلى الرواق، ويُفتح باب الإسطبل على الواجهة الشرقية، ويعلوه رواق. أما حجة وقف الأمير خاير بك فتصف لنا موقع هذا المنزل في العصر العثماني، وتُظهر أنه قد تحول من مجموعة كانت تضم قصرًا وإسطبلًا إلى مجموعة أخرى عبارة عن قصر ومدرسة وقبة وحوش وإيوان وميضأة وسبيل ورواق.

أما دار الأمير منجك السلحدار، فقد سكنها عدد من الأمراء المماليك العظام؛ منهم الأمير تمربغا الأفضلي المعروف بمنطاش، والأمير تغري بردي من يشبغا، والأمير يشبك العثماني، والأمير قانيباي؛ أمير كبير، والسلطان الظاهر تمربغا قبل وبعد سلطنته، وكذلك الأمير يشبك من مهدي الدوادار، والأمير قجماس الإسحاقي، والسلطان العادل طومان باي قبل سلطنته. أما في العصر العثماني، فسكنها صالح بيك، وحسن أفندي؛ أمير اللواء بمصر والدفتردار، وسليمان أغا دار السعادة؛ ناظر الحرمين الشريفين، وسنان باشا بعد عزله، وباشا جنى مصطفى باشا بعد عزله. وقد احتوت هذه الدار على إسطبل به طوالات مقام سبعة أرؤس من الخيل، وإسطبل مقام عشرة أرؤس من الخيل، كما يوجد بالحوش باب يؤدي إلى إسطبل مسقف غشيمًا، وإسطبل رابع كبير الحجم مقام خمسة وعشرين رأسًا من الخيل، مسقف غشيمًا، وبه بوايك (بوائك) وأكتاف ومنور وحوض من الحجر برسم سقي الدواب.

كما سكن الأمير قجماس الإسحاقي أيضًا ببيت للسلطان قايتباي بمنطقة الدرب الأحمر بخط سوق الغنم. وتذكر وثيقة وقف السلطان قايتباي أن البيت كان يحتوي على مرماة نشاب ومغسل للخيل، وكذلك إسطبل مقام أربعة عشر رأسًا من الخيل به أعمدة فلكًا، مسقف غشيمًا، وبه ركاب خاناه يُتوصل إليها من سلم سفلها متبن، يجاوره مرحاض. كما يوجد بالبيت المذكور بايكتان، يُدخل من أحدهما إلى إسطبل مسقف غشيمًا به مقام خمسة أرؤس من الخيل، والبائكة الأخرى بها مقام ثمانية أرؤس من الخيل، وسلم يُتوصل منه إلى ركاب خاناه كبرى سفلها متبن.

واحتوى الدور الأرضي بقصر الأمير يشبك على فناء، ويُفتح عليه منظرة للاستقبال وإسطبل وحواصل للغلال وطاحون، كما يضم حجرات خاصة بالخدم وبعض الحوانيت التي تفتح على الخارج. في حين كان إسطبل قصر الأمير طاز عبارة عن مساحة مستطيلة. وهذه المساحة مقسمة إلى ثلاثة أقسام يُفتح بعضها على بعض، ومسقفة بأقبية متقاطعة. وبالقسم الأوسط باب يؤدي إلى دهليز، يُوصِل إلى حجرة بها سلم، يُوصِل للطابق الأول علويًّا. ولم تخلُ منازل الأمراء في العصر العثماني من الإسطبل، الذي اعتُبر أحد العناصر الأساسية بتلك المنازل والدور. فنجد أن الطابق الأرضي ببيت السحيمي كان يتكون من فناءين وتختبوش (وهو عنصر معماري على شكل كرسي أو ما شابه للجلوس أو الاتكاء)، وأربع قاعات ومدخلين وإسطبل وملحقات من سلالم وطبقات وحواصل. وقد تميز منزل الحاج أحمد يوسف الصيرفي المعروف بمنزل وقف عبد الرحمن الهراوي، بوجود شُباك بين الطاحونة والإسطبل لتوصيل الحبوب المجروشة إلى الدواب في الإسطبل، أما الإسطبل نفسه فعبارة عن حجرة مستطيلة ذات سقف من عروق خشبية. في حين تكوَّن الدور الأرضي من منزل إبراهيم كتخدا السناري المعروف ببيت السناري، من مدخلين ومجموعة من الحواصل والطباق وحديقة المنزل والفناء الثاني والتختبوش والإسطبل، بالإضافة إلى سلالم الأدوار العليا.

وكان للأمير جمال الدين أقوش الرومي؛ السلاح دار، دار معروفة باسم دار أقوش الرومي بحارة برجوان، وكانت من أَجَلِّ دور القاهرة، وكان بابها من نحاس بديع الصنعة، وكان تجاهها إسطبل كبير يعلوه رَبع فيه عدة مساكن، إلا أن هذا الإسطبل قد خرب بعد وفاته عام ٧٠٥هـ/ ١٣٠٦م. وكذلك كانت دار البقر، أو كما عُرفت فيما بعد بدار الأمير طشتمر حمص أخضر، فكانت في بدايتها دارًا خارج القاهرة، فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل، وكانت دارًا للأبقار برسم السواقي السلطانية، ثم أنشأ بها السلطان الناصر محمد دارًا وإسطبلًا. في حين كان قصر بكتمر الساقي من أعظم مساكن مصر وأجلها قدرًا وأحسنها، بناه الناصر محمد لسكن أجلِّ أمراء دولته وهو الأمير بكتمر الساقي، وكان يحتوي على إسطبل به مائة سطلٍ نحاس لمائة سائس، كل سائس على ستة أرؤس من الخيل، فضلًا عمَّا كان له في الجشارات والنواحي من الخيل.

وتنسب الدار البيسرية التي بخط بين القصرين بالقاهرة، للأمير بدر الدين بيسري الشمسي الصالحي، الذي شرع في

بنائها سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، وتأنق في عمارتها، فجاءت سعة هذه الدار بإسطبلها وبستانها والحمام بجانبها نحو فدانين. أما قصر بشتاك، فكان باتجاه الدار البيسرية، وكان من جملة القصر الكبير الذي كان مسكنًا للخلفاء الفاطميين، ثم اشتراه الأمير بدر الدين بكتاش الفخري، المعروف بأمير سلاح، فأنشأ فيه دورًا وإسطبلات ومساكن له ولحواشيه. ولما مات، اشتراه الأمير بشتاك من الورثة، فنُسب إليه.

أما منزل وقف أحمد كتخدا الرزاز، فكان بناؤه الأصلي إلى السلطان قايتباي، ثم تتابعت عليه يد البناء، كما توجد إشارة لهذا البيت في حجة باسم الأمير أحمد أغا طبجي باشا وكتخدا طايفة عزبان بمصر ابن المرحوم مصطفى كتخدا عزبان الرزاز. والبيت عبارة عن جزأين، يحتوي كلٌّ منهما على صحن مكشوف وقاعات ومقعد وإسطبلين. وكان يقع خارج بابي زويلة والدرب الأحمر بخط التبانة بجوار المدرسة المعروفة بمدرسة أم السلطان. وكان يحتوي على بائكة مقام خمسة عشر رأسًا من الخيل، وكذلك على بائكة أخرى لسبعة أرؤس من الخيل.

ومن جملة القصور التي احتوت على إسطبل، قصر الحجازية، الذي كان يعرف بقصر الزمرد في أيام الخلفاء الفاطميين. فلما زالت الدولة الفاطمية، صار من جملة ما صار بيد ملوك بني أيوب، واختلفت عليه الأيدي إلى أن اشتراه بدر الدين مسعود ابن خطير الحاجب، الذي باعه بدوره إلى الأمير سيف الدين قوصون. فشرع في عمارته على سبع قاعات، لكل قاعة إسطبل ومنافع ومرافق، فكانت مساحة ذلك عشرة أفدنة. فلما مات، اشترته خوند تتر الحجازية؛ ابنة الناصر محمد، وعمَّرته وتأنقت فيه تأنقًا زائدًا، وأجرت الماء أعلاه، وأنشأت تحته إسطبلًا كبيرًا لخيول خدامه، وساحة كبيرة تشرف عليها من شبابيك حديد. وحينما تولى الأمير جمال الدين يوسف الأستادار أستدارية الملك الناصر فرج، حوَّل القصر إلى سجن يحبس فيه من يعاقبه من الوزراء والأعيان. واحتوت دار صرغتمش بخط بئر الوطاويط هي الأخرى على إسطبل، شُيد عام ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م.

وبالإضافة لما سبق، حرص السلاطين والأمراء المماليك على تشييد إسطبلات ملحقة بمنشآت أخرى غير القصور والدور. فتشير إحدى الوثائق أن وكالة النخلة، والتي أنشأها السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦م) سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م، كان بها إسطبل معد لربط دواب التجار، وهو سقف غشيمًا، وكان يتسع لتسعة أرؤس من خيل كامل المجاديل، ويوجد به مغسل للخيل وركاب خاناه. في حين يُعد إسطبل الأمير أيتمش البجاسي بخط الوزير، داخل درب حسام الدين البواب، نموذجًا للإسطبلات العامة؛ حيث كان ملحقًا بستة حوانيت، يعلو خمسة منها طباق، بالإضافة لحمام يُنسب إليه، بحيث شكَّلوا مجموعة معمارية واحدة، بها واجهة واحدة تحتوي على عدة أبواب. أما الإسطبل فكانت له واجهة بها بابان؛ أحدهما يؤدي إلى الإسطبل المكوَّن من طوالة وركاب خاناه، ومتبن ومرحاض وبيت الشعير. أما الباب الثاني فيؤدي إلى دهليز، ينتهي برواق من إيوانين ودور قاعة بالإضافة إلى مطابخ وخزانة. في حين أنشأ الأمير سنقر الرومي الصالحي حمامًا عُرف باسم حمام الرومي بجوار حارة برجوان، وأنشأ بجواره إسطبله الذي عُرف باسم إسطبل ابن الكويك.

الوظائف المرتبطة بالخيل

ارتبط بالخيل وبالعناية بها وتطبيبها بعض الوظائف الهامة، والتي منها:

١- أمير آخور: وكان متوليها يقوم على إسطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الإسطبلات، ويتولى معالف الخيول. وآخور بالعجمي هو مِذود الفرس الذي يأكل فيه. ويبدو أن هذه الوظيفة قد انتقلت إلى المماليك عن طريق الأيوبيين، الذين انتقلت إليهم عن طريق الأتابكة والسلاجقة. وعادة الأمير آخور أن يكون ساكنًا بإسطبل السلطان. وكانت وظيفته من أهم ست وظائف من الوظائف المملوكية التي أنشأها السلطان الظاهر بيبرس، ولم تكن معروفة قبل عهده.

وكانت مهمة أمير آخور خطيرة في السلم والحرب، فقد كان عليه أن يكون متأهبًا دائمًا لسفر السلطان أو انتقاله في ليل أو نهار، وأن يُعِد موكب السلطان حسبما جرت به العادة، وأن يقوم بتثمين الخيول المشتراة، وأن يشرف على ما يُصرف من العَليق، وأن يعنى ببغال الكوسات والأعلام وأبغال الخزانة، وأن يعنى بقماش الإسطبلات السعيدة من الذهب والفضة والحرير، وأن يحفظها من التلف والضياع.

وكذلك كان عليه أن ينظر في جميع الإسطبلات السلطانية والجشارات، والخيل المعدة لمماليك الطباق، وخيل التلاد، التي تم إنتاجها في الإسطبل السلطاني، وما يجلب من قود القبائل ويجيء من البلاد، والمشترى مما يباع من المواريث. كما كان عليه أن يُحسن علاقاته بأمراء العربان، وأن يعاملهم بالحسنى، حتى يضاعف رغبتهم كل عام في جلب الدواب من مراعيهم.

وكان أمير آخور يُختار من بين أمراء المئين. وكان يسمى أولًا أمير آخور، ولما ارتفعت مرتبة وظيفته، أضيف إليه الكبير، وصارت تُسند عادة إلى أمير مائة مقدم ألف، وأصبح له أعوان مثل أمير آخور الثاني، ثم أمير آخور الثالث وهكذا حتى بلغوا أربعين.

أما فيما يتعلق بالأمراء، سواء من أمراء المئين أو الطبلخانات، فقد كان كلٌّ منهم سلطانًا مختصرًا في غالب أحواله. وقد سبقت الإشارة إلى وجود إسطبلات للأمراء على غرار الإسطبلات السلطانية، الأمر الذي كان يتطلب وجود أمير آخور للإشراف على تلك الإسطبلات، التي كان يطلق عليها اسم البيوت الكريمة. وفي حالة ركوب الأمير وحوله أكابر جنده من أرباب الوظائف وخلفه الجمدارية من مماليكه الصغار، كان أمير آخوره يأتي خلف الجميع ومعه الجنائب والأوشاقية على قاعدة السلطان في ذلك.

٢- البياطرة: وهم المسئولون عن علاج الخيل. والواقع أن الأيوبيين قد اهتموا اهتمامًا بالغًا بعلم الحيوان أو ما يمكن أن نسميه بالطب البيطري. ولعل أبلغ دليل على ذلك هو الاهتمام البالغ بتصنيف المؤلفات التي تعنى بعلم الحيوان، ولعل أشهرها هو «شرح المقامة الصالحية في الخيل والبيطرة والفروسية»، والذي يعد من أهم كتب البيطرة والزردقة والفروسية. ويذكر المقريزي أن حوانيت البيطرة كانت منتشرة في الأسواق في بلاد الشام ومصر لعلاج ما يمرض من الدواب. واستمر الاهتمام ببيطرة الخيل طوال العصر المملوكي، ويشير لذلك الكثير من وثائق الوقف التي نصت على أن يحصل أرباب الوظائف من البياطرة والمسئولين عن إطعام الدواب ورعايتها، على رواتب من ريع الأراضي الزراعية الموقوفة. أما أشهر بياطرة هذا العصر فكان أبو بكرب بن المنذر الناصري البيطار؛ صاحب كتاب «كامل الصناعتين في البيطرة والزردقة». كذلك اهتم علماء هذا العصر أيضًا بتصنيف الكتب المتعلقة بالخيل مثل عمر البلقني؛ صاحب كتاب «قطر السيل في أمر الخيل»، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر؛ صاحب كتاب «جر الذيل في علم الخيل» وغيرهم.

٣- الرائض: وهو الذي يروض الحيوانات، وكان بكلٍّ من إسطبلات الخليفة الفاطمي ثم السلطان المملوكي رائض كأمير آخور.

٤- السائس: وهو رائض الدواب ومدربها، والجمع ساسة وسُوَّاس، وكان في إسطبل الخليفة الفاطمي من الخيول والبغال ما يقرب من الألف رأس، وكان لكل ثلاثة منها سائس واحد. ومن بين صفوف السُّوَّاس يخرج الأسطوات، ويحتاج السائس حتى يصل إلى هذه المرتبة أن يكون عارفًا بصفة الدواب ومعرفة أوجاعها وأمراضها وما يوافقها من الأدوية والدهانات النافعة، وعارفًا بسياسة الخيل ومعرفة الأصيل منها والخسيس.

٥- السقاة والغلمان: وهم القائمون على سقي الخيل وخدمتها.

٦- الخُوَل والكمدارية: وهم القائمون على جمعها وربطها من أعناقها.

٧- الدشارية: وهم الذين يرعون الخيل المريضة في الدشار.

٨- السراخور: وهو مركب من لفظين فارسيين؛ أحدهما «سرا» ومعناه الكبير، والثاني «آخور» ومعناه العلف، والمعنى كبير العلاف. والسراخور هو الذي يقوم على علف الدواب. وكانت الغلال التي يصرف منها ما يلزم للإسطبلات والمناخات السلطانية، تحفظ في الأهراء السلطانية، وهي الأماكن التي يخزن بها الغلال.

٩- أمير الركاب خاناه: وهو المسئول عن الركاب خاناه، حيث تُحفَظ عِدد الخيل من السروج واللجم والكنابيش. ولها موظف يُعبَّر عنه بمهتار الركاب خاناه. وتوجد الركاب خاناه أحيانًا أسفل المقعد في قصور الأمراء بالقرب من الإسطبل.

١٠- الأوشاقي أو الوشاقي أو الأوجاقي: فرقة من خدم السلطان، عملها هو ركوب الخيل للتسيير والرياضة. وكان عددهم ستة عشر شخصًا. يصحب اثنين منهم السلطان عند خروجه في المواكب. ويركب كلٌّ منهما فرسًا أشهب برقبة وعِدَّة. ويلبس قباء أصفر من حرير مطرز ومزركش.

١١- المهمرد: ويتركب اسم هذه الوظيفة من كلمتين فارسيتين؛ «مه» وهي الكبير، و«مرد» بمعنى الرجل، أي الرجل الكبير. وتقوم وظيفته على حفظ قماش الجمال والخيل.

ونظرًا لأن كل أمير من أمراء المماليك كان بمثابة سلطان مختصر في بيته، فلنا أن نتخيل مدى العناية والرعاية التي كان يوليها سلاطينهم للخيول ورعايتها وبيطرتها، وليس دليل على ذلك أفضل من انتشار كتب الخيل في ذلك العصر، والتي تتعلق بأمراض الخيل وهيئتها وتدريبها والفنون العسكرية المرتبطة بها.

ويحمل القفص والجمالة والفيس والدبالة انها لضعت على بالة فتضاعت تقش مدرجها

وتشد مدرجها كلما دانيتي قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت في المشوف المعلم

واشرت الى الدرهم فوجي بالسر المدهم وان ابيت ان تشرحي فخذي القطعة وابيرحي

قالت الي استملاض البدر التم والأبلج الهمر وقالت دع جدالك وبيل عما بدالك فاسطعا

طلع الشيخ وبلدته والشعر وناتج بردته فقالت ان الشيخ من أهل بزوج وهو الذي وشى